

في نور محمد فاطمة الزهراء

كان ذلك والدعوة توغل في الخمس الأخير من أعوامها بمكة، قبل أن يأذن الله لنبيه بالهجرة منها في اليوم المحسوب. ومع ما لاح لها عندئذ من بشائر النجاح، فما أحسب أن شعورها كلاًه كان سكينه، لكأنني بها وفي دخيلتها قلق مترنح [693]، لا يفتأ يخز قلبها بمثل إبرة حمالة. فما أصابوه إلى يومهم هذا من مغنم يقوي جانب الدعوة، كان كخطفة من وراء العيون، قطعة ليس فيها الغناء، إن هو، من ثمر النصر، إلاّ طلع كالبرسر [694]. فالشوط حتّى غايتهم ما زال طويلاً دونه عقبات وعراقيل، والجوّ مهما صفا فلا بدّ أن يغيم، وفي غصون الورود تنبت الأشواك. وكذلك الكفاح! إنّه لم يكن عيش دائماً على أرض سهلة، مفروشة بالزهور والرياحين، كان أحياناً يدرج على عوسج [695]، أحياناً ينحت بأطفاره مسالك في الصخر، أحياناً يخوض الهيب. بل أتى عليه حين تعذّرت خلاله خطاه، بل كاد يتوقّف عن السير، بل لاح قدّامه وهو الخلف، ووراؤه وهو الأمام! * * * وعلى غير ما هو مأمول احتدمت [696] الأمور، انتكست مسيرة الأحداث، تجهّمت الأيام فإذا هي أخرى بأن تعدّ في الحُسوم [697]. فلقد فطن الشرك للخطر الموشك أن يجتاحه لو ترك الدعوة تتسلّل تحت سمعه وبصره، فصنع النكسة، ثم استغلّ الظروف المحيطة أحسن استغلال.